

نشوء، وتطور، الحزب الشيوعي الاسرائيلي ومواقفه السياسية من القضية الفلسطينية

د. محمود محارب، الحزب الشيوعي الاسرائيلي والقضية الفلسطينية،
١٩٤٨ - ١٩٨١، القدس: بلا ناشر، الطبعة الاولى، ٢٨٦ صفحة.

حظي العمل الشيوعي، في فلسطين، باهتمام بارز من قبل مختلف الاوساط السياسية. وبرزت، في هذا السياق، دراسات سياسية متنوعة. ولعل ذلك يعود، في الاساس، الى ما أقره هذا العمل من اجتهادات وردود فعل متباينة لدى القوى السياسية داخل اسرائيل، وخارجها. وامتاز معظم الدراسات الخاصة به بقدر غير قليل من اللاموضوعية، كان سببها الاساس الاستناد الى الاعتبارات الايديولوجية، والسياسية، التي استندت اليها تلك الكتابات.

فالقوميون، على اختلاف مشاربهم، قاموا بكتابة تاريخ الحزب الشيوعي الاسرائيلي من خلال مواقفهم الايديولوجية، والسياسية، المتناقضة والمتنازعة، جزئياً أو كلياً، مع مبادئ الحزب الشيوعي الاسرائيلي ومرتكزاته. والتيارات الاسلامية، بدورها، وعلى اختلافها، اعتبرت الحزب الشيوعي جزءاً من الآلة الاسرائيلية - اليهودية؛ بل انها اعتبرته حزباً معادياً بقدر اعتبار الاحزاب الاسرائيلية الاخرى. أما الشيوعيون، والفلسطينيون الذين انضموا الى الحزب الشيوعي بعد اقامة اسرائيل في العام ١٩٤٨، فكان من الطبيعي ان يقوموا بعرض تاريخ الحزب، وفقاً لمبادئهم ومرتكزاتهم. وما بين التيارات الثلاثة، سابقة الذكر، طمس معظم الحقيقة، وبرزت الحاجة الى بحث موضوعي يتناول تاريخ الحزب الشيوعي على أساس ابراز الحقائق دونما مواقف مسبقة، تأخذ في الاعتبار الخصائص الخاصة للعمل الشيوعي في فلسطين، منذ عُقد اول مؤتمر عام للحزب الشيوعي الفلسطيني، في العام ١٩١٩.

ولعل ما يزيد في صعوبة التعرّض الموضوعي الى تاريخ الحزب، هو ان نشوء الحزب الشيوعي الاسرائيلي، وخلافاً للاحزاب الشيوعية الاخرى، «لم ينبثق عن احتدام الصراع الطبقي، كما حصل في معظم البلدان الاوروبية؛ ولم يتفرع عنه الجناح اليساري من الحركة القومية الفلسطينية، مكتسباً راديكالية من خلال كفاحه ضد الاحتلال الامبريالي، كما هو الحال عند بعض الاحزاب الشيوعية. ومن المفارقات ان الحزب الشيوعي الفلسطيني ولد في احشاء الحركة الصهيونية» (ص ١٠). من هنا، تأتي أهمية الكتاب الذي نتناوله، والذي أوضح مؤلفه، د. محمود محارب، في مقدمته، ان من بين الاسباب، التي دعت الى انجاز دراسته، الاعتبارات التالية:

○ ان الحزب الشيوعي الاسرائيلي احتل، في ظل غياب الحركة الوطنية الفلسطينية رداً من الزمن، مكانة بارزة في صفوف جماهير الشعب العربي الفلسطيني داخل اسرائيل؛ وبالتالي، أثر، بدرجة لا يستهان بها، في مسار نضالها، ايجاباً أو سلباً.

○ ان درس موقف الحزب الشيوعي الاسرائيلي من القضية الفلسطينية يلقي الضوء على مواقف غالبية الاحزاب الشيوعية العربية من القضية الفلسطينية، بحكم تقارب، اذا لم يكن تطابق، وجهة نظر أغلبية